مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع-جامعة جيجل ISSN: 2661-7331
المجلد: 06 العدد: 04 (2023) ص- ص: 10- 24 EISSN : 3769-2773

أعمال الملتقى الوطني: الأسرة الجزائرية والتحولات الاجتماعية المعاصرة
قسم علم الاجتماع بالتنسيق مع مخبر علم النفس والتربية وقضايا المجتمع
جامعة جيجل 07 مارس 2023

النظام الأسري التقليدي عند الطوارق

The traditional family system of the Tuareg

أحمد بنايل[1]*
[1]جامعة أحمد دراية آدرار(الجزائر)
البريد الالكتروني:Ahm.benabel@univ-adrar.edu.dz

ملخص:

لكل مجتمع نظام أسري خاص به مرتبط بدين وتقاليد وعادات، وتاريخ هذا المجتمع، ومنه تختلف الأسر في تنظيمها وطرق تأسيسها من مجتمع لأخر، وفي هذه الدراسة تم الحديث عن الأسرة في المجتمعات التقليدية وبالضبط عند الطوارق بمنطقة الهقار بأقصى الجنوب الجزائري،فكان الحديث في البداية عن ماهية الأسرة وأهم ظاهرتين يرتبط عليهما بنائها و هما الزواج والاختيار له، مع إعطاء لمحة تاريخية عن تطور الأسرة منذ القدم وعن الأسرة في الدين الإسلامي، بعدها تطرقنا إلى الأسرة بالمجتمع الجزائري وأهم التغيرات التي طرأت عليها.

وفي الأخير نصل إلى النظام الأسري التقليدي عند الطوارق حيث تم التطرق لعدة نقاط من أهمها البناء الاجتماعي التقليدي للطوارق، الأسرة عند الطوارق، أولاد الطوارق وتنشئتهم، الزواج والاختيار له عند الطوارق وأخيرا التغيرات الاجتماعية والأسرة الطارقية بتامنغست.

الكلمات المفتاحية:الأسرة، الزواج، الاختيار الزواجي، الطوارق.

Abstract:

Each society has its own family system linked to religion, traditions, customs, and the history of this society, and from it families differ in their organization and ways of establishing them from one society to another. What is the family and the two most important phenomena associated with its construction, which are marriage and the choice for it, while giving a historical overview of the development of the family since ancient times and the family in the Islamic religion, then we touched on the family in Algerian society and the most important changes that occurred in it.

Finally, we come to the traditional family system of the Tuareg, where several points were addressed, the most important of which are the traditional social structure of the Tuareg, the family of the Tuareg, the children of the Tuareg and their upbringing, marriage and choice for it among the Tuareg, and finally the social changes and the Tuareg family in Tamangist.

Keywords: family, marriage, marital choice, Tuareg.

*المؤلف المرسل.أحمد بنايل

1. مقدمة:

باعتبار الأسرة هي الخلية الأولى و الأساسية لبناء أي مجتمع، و المؤسسة الأولى المسؤولة على بناء قيم وشخصية الفرد عن طريق نقل الثقافة والدين السائدين في المجتمع لأفرادها، فسلوك الإنسان في شتى مجالات الحياة السياسية، الاقتصادية، الثقافية والاجتماعية يتأثر بما تنقله الأسرة بالدرجة الأولى لأبنائها، والمجتمع بوجه عام يتكون من مجموعة أسر فقوة الأسرة هي قوة للمجتمع وضعفها ضعف له.

يعد الزواج أساس تكوين الأسرة في مجتمعنا الإسلامي والذي يعمل على تحقيق مجموعة من الوظائف النفسية، البيولوجية والاجتماعية، ولايتم الزواج إلا بعد التفكير بمن سيكون الزوج أو الزوجة أي الاختيار الزواجي، الذي يكتسي أهمية كبيرة باعتباره أساس للتوافق الزواجي والحياة الأسرية السعيدة، وتختلف عملية الاختيار للزواج من مجتمع لأخر، إلا أن هناك أتفاق للدارسين لموضوع الأسرة على انه هناك قاعدة عامة في عملية اختيار الزواج(ة)، وهي إما الاختيار من داخل الجماعة التي ينتمي إليها الفرد من أقرباء وعشيرة (الزواج الداخلي) أو الاختيار من خارجها(الزواج الخارجي).

وفي الجزائر وكباقي الدول العربية "يرى علماء الاجتماع أن العائلة الجزائرية معروفة بالزواج الداخلي خاصة العائلة التقليدية وذلك من أجل تعزيز القرابة الدموية جيل بعد جيل، فيُفضل الزواج مع أبناء العمومة والخؤولة. هذا الزواج يقوم داخل العائلة الواحدة التي تتميز باتحادها وتماسكها، فمن الناحية الاقتصادية يهدف إلى المحافظة على التراث المادي، ومن ناحية البناء الاجتماعي يريد إحداث وتدعيم التماسك داخل العائلة، كما يهدف إلى إقامة الوحدة القرابية بين أفراد الجماعة من خلال الخضوع إلى العادات والتقاليد خاصة العرف فيما يتعلق بالزواج".(تمرسيت، 2006، ص 103).

ونظرا للتطور الذي تشهده مختلف جوانب الحياة في المجتمع الجزائري تشهد الأسرة الجزائرية بالضرورة تحولات عديدة قد تؤدى إلى تراجع المعايير التقليدية المعتمدة في سلوكاتها، والأخذ بعين الاعتبار التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة في المجتمع، لكن التغير قد يبقى نسبي يختلف من منطقة لأخرى نظرا لتنوع وتعدد الثقافات في المجتمع الجزائري، فلكل منطقة ومجتمع نظام أسري خاص به مرتبط بتقاليد وعادات، وتاريخ هذا المجتمع، ومنه تختلف الأسر في تنظيمها وطرق تأسيسها من مجتمع لأخر.

ومن أهم الثقافات المشكلة للمجتمع الجزائري نجد ثقافة المجتمع الطارقي بأقصى الجنوب الجزائري والطوارق أو التوارق باستبدال الطاء تاء، هم أقوام ينتشرون حالياً في الصحراء الكبرى من ليبيا والجزائر وموريتانيا وتشاد والنيجر ومالي وينقسمون إلى العديد من القبائل والطبقات الاجتماعية، اختلف في أصل هذه التسمية وفسرت تفسيرات عديدة، والطوارق مسلمون، يتحدثون اللغة الطارقية، حروف هذه اللغة تسمى (التيفيناغ)، والطوارق هو الاسم الذي يطلقه الاخرون عليهم، في حين يطلقونُ على أنفسهم اسم من لغتهم هو(إموهاغ) ومفردها أماهغ .

ومنه سنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على النظام الاسري التقليدي بهذا المجتمع بغية الوصول لمعرفةمعرفة مدى تحكم الموروث من عادات وتقاليد، في سلوك الأسرة الطارقية وكذا اثر التغيرات الاجتماعية على التغير الحاصل داخل الأسرة الجزائرية بصفة عامة والطارقية بصفة خاصة.

2. ماهية الأسرة وبنائها:

1.2. تعريف الأسرة:

" الأسرة في اللغة،هي الدرع الحصينة، وأهل الرجل، وعشيرته. وتطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أسر.وجاء في معجم علم الاجتماع((أن الأسرة هي عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معا بروابط

الزواج، والدم، والتبني، ويتفاعلون معا. وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة، وبين الأم والأب، وبين الأم والأب والأبناء، ويتكون منهم جميعا وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة))"(القصير، 1999، ص 33).

" ونظرا لأن اللغة العربية أغنى من اللغات الأخرى في مصطلحات القرابة فأنها تستخدم كلمة((أسرة)) Familyلتشير بها إلى الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معا في مسكن واحد، في نفس الوقت الذي تطلق فيه مصطلح العائلة ليشير إلى ((الأسرة الممتدة)) ExtendedFamily المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين والأولاد وزوجاتهم وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة والابنة الأرملة الخ... وهؤلاء جميعا يقيمون في نفس المسكن ويشاركون في حياة اقتصادية و اجتماعية واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة"(الخولي، ص40).

" وفي رأي عالم الاجتماع الفرنسي هنري موندراسHenri Mondras ((أن ليس للأسرة معنى واضح في اللغة الفرنسية حيث يشير هذا المصطلح إلى الأشخاص (الأب، والام، والأبناء) المرتبطين معا بروابط الدم، فإننا نعني بكلمة أسرة الأشخاص الذين يعيشون معا في منزل واحد)) .

وفي اعتقاد عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايمEmile Durkheim : ((أن الأسرة ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين، وماينجبانه من أولاد _على مايسود الاعتقاد_ بل انها مؤسسة اجتماعية تكونت لأسباب اجتماعية، ويرتبط أعضاؤها حقوقيا وخلقيا ببعضهم البعض)).

والأسرة حسب تعريف كل من أغبرن OgburnونيمكوفNimkoff : ((هي عبارة عن منظمة دائمة نسبيا تتكون من زوج وزوجة مع أطفال أو دونهم، أو تتكون من رجل وامرأة على انفراد، مع ضرورة وجود أطفال. وتربط هؤلاء علاقات قوية متماسكة تعتمد على أواصر الدم، والمصاهرة، والتبني، والمصير المشترك))" (القصير، 1999، ص ص 33-34).

" وبالرغم من عدم وجود تعريف موحدا للأسرة، فإن معظمها يجتمع حول محاور أساسية،فالتعريف الذي قدمه زياد حمدان لايختلف كثيرا عن التعريف اللغوي السابق فهو يرى انها(مجموعة من الافراد المتكافلين والمتكاتفين معا والذين يقيمون في بيئة سكنية خاصة بهم وتربطهم معا علاقات بيولوجية ونفسية وعاطفية واجتماعية و اقتصادية وشرعية وقانونية)،يضيف هذا التعريف الى جانب الدور الوظيفي للأسرة، الجانب البنائي فيها، ولا يهمل في نفس الوقت العلاقة التفاعلية التي قد تنجم بين أعضائها. ومع ذلك يبدو التعريف عام وغير دقيق، لأنه لايوضح نوع العلاقة العاطفية ولا حتمية الواجبات والحقوق التي يمكن ان تنشأ من العلاقة الزوجية التي تبنى عليها الأسرة، ومن التعاريف الأكثر تخصيصا تعريف ماكيفر(Mciver) الذي يركز على الغائية التي تجمع بين الرجل والمرأة الذين يدخلان في علاقة جنسية تنتهي بإنجاب الأطفال والسهر على رعايتهم، إذ يرى أنها:((جماعة تعرف على أساس العلاقات الجنسية المستمرة التي تسمح بإنجاب الأطفال ورعايتهم))". (دراوش، 2012، ص 15).

" ويرى دارسو علم الاجتماع أن الأسرة أحد مقومات الوجود الاجتماعي في المجتمع الإنساني وهي لذلك تعتبر نظاما عالميا. أما ماهو غير عالمي فيها فهو شكلها الموجود في مجتمع او أخر ومن مظاهر عالميتها أن كل مجتمع يجيز التزاوج بين الذكر والأنثى مما يعطي الشرعية لميلاد الطفل، ويتم هذا بطريقة معينة(تختلف من مجتمع لأخر) يحصل من خلالها الطفل على مركز معين وحقوق معينة، كما تقع مسؤلية رعايته على كاهل أشخاص معينين عليهم أن ينهضو بها" (الخولي، ص ص 42_43)

2.2. تعريف الزواج:

"في الواقع ان بحث العائلة وتكوينها وتطورها، لايتم بمعزل عن بحث نظم الزواج، فهما أمران متلازمان متفاعلان كلاهما مكمل للأخر، ولا وجود لاحدهما دون الأخرى، ولكن رغم هذا الترابط الوثيق ينبغي التفرقة بينهما، وهو ما دعإليه جورج بتر مردوك إذ يرى أنه((لايجب الخلط أو تشبيه العائلة بالزواج، فهذا الأخير هو مجموعة من التقاليد أو العادات التي تنظم داخل الأسرة الرابطة بين زوجين بالغين بينهما علاقة جنسية وهذا يحدد طبيعة استمرار أو وضع نهاية لأى اتصال لأنماط السلوك والواجبات المتبادلة التي تفرضها بالإضافة إلى ذلك الحدود التي توجد في المجتمعات عند اختيار القرين))" (دراوش، 2012، ص ص 17-18).

"وتقول العرب: زوج فلان إبله، وهم يريدون بذلك أنه قرن بعضها ببعض، وجاء في القرآن الكريم سورة التكوير الآية السابعة قوله عز وجل((وإذا النفوس زوجت ((8))))، أي قرنت بأبدانها وبأعمالها، كما أنه من جهة أخرى يتطابق مدلولها بعد أن شاع استعمال لفظ الزواج للدلالة على اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام أو الاستمرار لتكوين أسرة وصار عند الإطلاق لايراد منه إلا ذلك" (دراوش، 2012، ص. 160).

" أما المصطلح الأخر الذي ارتبط بالزواج فيتمثل في التزاوج الذي يعني ذلك الارتباط الذي يجمع بين الرجال والنساء بغرض الإشباع الجنسي أساسا، وتتميز تلك العلاقات بأنها تكاد تكون مؤقتة في الغالب، وهي في العادة لا تفرض أي التزامات أو مسؤوليات على الأطراف الداخلية فيها".(دراوش، 2012، ص161).

" الزواج وظيفة اجتماعية لتأكيد الروابط الأسرية بين أبناء المجتمع أكثر من كونه علاقة فردية بين شخصين، وسلوكا خاصا يمارسه اثنان (ذكر وأنثى) بمحض اختيارهما لإرضاء رغبات، واحتياجات خاصة بهما، وفي كل مجتمع تظهر أنماط خاصة من السلوك الاجتماعي، ويلتزم أبناء المجتمع بقواعد معينة تحدد شكل الزواج ويتكون عن طريقها مع غيرها من العادات والتقاليد، طابع مميز للمجتمع وخصائص مميزة يتسم بها المجتمع ويتميز بها عن غيره من المجتمعات الإنسانية" (عبد الحكيم خليل، 2014، ص 23)

3.2. تعريف الاختيار الزواجي:

" إنالاختيار للزواج هو الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج، وهو ليس عملية اجتماعية حديثة العهد، بل حدث في التاريخ الإنساني كله، وهو سلوك اجتماعي يتضمن فردا ينتقي من بعض عدد من المعروضين . وقد جعلت أعراف الشعوب وتقاليدها الرجل هو البادئ صراحة في عملية التودد للمرأة التي تنتهي بالزواج، لكن ذلك لا ينفي دور المرأة في تطوير العلاقة، فهي ليست سلبية دائما في ما قد يظن .

في الواقع، أن الاختيار للزواج لا يتحدد برغبات الشخصين فقط، بل وفق معايير المجتمع أيضا، سواء أكانت هذه المعايير واضحة جلية، في ما هو الحال في التحريم والإباحة، أو كانت تلك المعايير مستترة في شكل توقعات، ومرغبات في أن يسير الاختيار للزواج وفق اتجاه معين . لهذا اختلفت عملية الاختيار للزواج وأنماطه باختلاف ثقافة كل مجتمع" (القصير،1999، ص ص 121-122).

" ففي بعض المجتمعات يسمح للأفراد المقبلين على الزواج ان يسهما في عملية الاختيار . وفي هذه الحالة توجد درجة من الاختيار الشخصي بين طرفي الزواج . أما في حالة الزواج المرتب فإن العملية تحدث بين أعضاء الجماعة القرابية بوجه عام. وفي بعض الظروف لا يلقى العريس عروسه قبل يوم الزفاف، إلا أن هذا الوضع أصبح نادرا في الوقت الحالي، إذ أنه من النادر ان تحدث عمليات الاختيار الزواجي مستقلة عن النظم الأخرى مثل المدارس، وجهات العمل والجيران" (الخولي، ص 170).

و" هناك مبدأين أساسين يتحكمان في عملية الاختيار للزواج، في جميع الأنماط الثقافية المختلفة وهما:

مجال الاختيار، وهو يتحدد بالعدد، وبدائرة الاختيار التي على الشخص أن يختار منها.

أساليب الاختيار: يوجد أسلوبان يتحكمان في عملية الاختيار :

الأسلوب الوالدي: حيث تظهر فيه سيطرة الوالدين في عملية الاختيار.

الأسلوب الذاتي أو الشخصي: وهو الذي يعطي الفرد حرية كبيرة في اختيار زوجته في إطار المجال المسموح له به" (القصير، 1999، ص 123).

3. **لمحة تاريخية عن تطور الأسرة**:

" الأسرة بوصفها نظاما اجتماعيا قديمة قدم النوع الإنساني نفسه، إلا ان مسألة نشأة الأسرة الإنسانية وتطورها لازال يكتنفها كثير من الغموض، فليس لدينا حتى الوقت الحاضر تاريخ سليم، وأمل لنظام الأسرة يغطي مراحل تطورها منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر،ولم يوجه المؤرخون عامة، ولا علماء التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي عناية كافية إلى هذا الموضوع.

ويلاحظ أن بعض العلماء الذين اهتموا بدراسة تاريخ النظم الاجتماعية، وتطورها عبر التاريخ اضطروا الى الالتجاء إلى الظن والتخمين، والى افتراض بداءات نظرية للأسرة، وذلك مافعله عدد كبير من علماء القرن التاسع عشر من أنصار المدرسة التطورية التي نشأة بين سنتي (1860) و(1900) م. وكانت هذه المدرسة واقعة تحت تأثير نظريات دارون وغيره من أصحاب مذهب التطور البيولوجي أو الحيوي" (القصير، 1999، ص 42).

" وكان على رأس القائلين بالمذهب التطوري لويس. مورغان Lewis Morgan (1818-1881) فقد ذهب الى أن النظام الأساسي قد مر مثل أي نظام اجتماعي في مراحل هي:

1_ مرحلة الشيوعية الجنسية التي لايمكن الإنسانأن يعرف فيها نظام الزواج، بل كانت العلاقة بين الرجل والمرأة حرة طليقة من أي قيد.

2_ المرحلة الثانية، وهي مرحلة الزواج الجمعي الذي يبيح أن يتزوج جمع من الرجال من جمع من النساء.

3_ مرحلة ثالثة كانت القرابة فيها تتبع نسب الأم.

4_مرحلة رابعة كانت القرابة فيها تتبع نسب الأب.

5_ وأخيرا، يصل المجتمع إلى مرحلة الأسرة الثنائية المكونة من الأب والام." (القصير، 1999، ص 43).

" وفي العموم، نحن لانعلم شيئا يقينيا عن نطاق الأسرة وحقيقتها، في المجتمعات الإنسانية الأولى، ولكن جرت عادة بعض علماء الاجتماعوالأنثروبولوجيا على أن يعتبروا بعض الشعوب البدائية، وخاصة السكان الأصليين لاوستراليا وأمريكا ممثلة إلى حد ما لما كانت عليه الإنسانية في فجر نشأتها، وهذا راجع إلى كون هذه الشعوب ظلت ردحا من الزمن بمعزل عن التيارات الحضارية الكبرى التي توالى ظهورها بين سكان القارات القديمة، وهو الأمر الذي ساعد هذه الشعوب على البقاء جامدة على حالتها القديمة، أو مايقرب منها، ولكن هذا لايعني أن هذه الأخيرة قد أفلتت من ناموس التطور والتغير الذي يشكل سنة جميع الشعوب الإنسانية، وان اختلفت درجة تطورها الحضاري. ومعنى ذلك أن بعدها النسبي من التيارات الحضارية قد مكنها من الاحتفاظ بكثير من النظم التي سارت عليها المجتمعات الإنسانية في أقدم عهودها.

وبملاحظة النظم الأسرية في تلك الشعوب يتبين أن نطاق الأسرة كان واسعا كل السعة، فلم يكن هناك فرق واضح بين مفهومي الأسرة Famille والعشيرة Clan بل كان كل أفراد العشيرة الواحدة يرتبط بعضهم ببعض برابطة قرابة متساوية الدرجة، وليست قائمة صلات الدم، في ما هو الشأن في الأمم الحديثة في الوقت الحاضر، وإنما كانت قائمة على أساس انتماء جميع الأفراد إلى طوطم واحد، والطوطمTotem في ما يعرفه قاموس علم الاجتماع: ((هو عبارة عن نوع من الحيوان، أو النبات، او الجماد، أو مظهر من مظاهر الطبيعة تتخذه العشيرة رمزا لها، ولقبا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية))

وقد عثر الباحثون على نظائر لهذا النظام الأسري الواسع النطاق في أمم كثيرة غير العشائر الطوطمية، فمن ذلك ما كان عليه نظام الأسرة عند اليونان والرومان قديما حيث كانت الأسرة لديهم تضم جميع الأقارب من ناحية الذكور، وكذلك الأرقاء والموالى، وكل من يتبناهم رئيس الأسرة أو يدعي قرابتهم، فيصبحون بذلك أعضاء في أسرته لهم كل حقوق الآخرين، وعلى ذلك كانت العضوية في الأسرة تقوم على الادعاءAdoption، وكان على رئيس الأسرة أن يعلن اعترافه بأولاده، أو إبعادهم عن الأسرة إذا لم يقبل الاعتراف بهم.

ومن ذلك أيضا ماكان عليه نظام الأسرة عند كثير من الشعوب السامية في أقدم عهودها، فقد كانت الأسرة عند العرب في الجاهلية وعلى سبيل المثال – تنتظم جمع الاقارب من ناحية الذكور، وكذلك الموالي والأدعياء، وكانت القرابة عندهم تقوم على الادعاء، وعلى صلات الدم، فكان الولد نفسه لايلحق بأبيه إلا إذا رضي أن يلحق به . ثم أخذ نطاق الأسرة يضيق شيئا فشيئا حتى وصل إلى الحد الذي استقر عليه ألان في معظم المجتمعات المعاصرة، فوصلت الأسرة بمعناها الدقيق الى أضيق حدودها، فأصبحت لا تشمل الا الزوج والزوجة واولادهما. وقد اصطلح علماء الاجتماع على تسميتها بالأسرة الزواجية Famille Conjugale، أو النووية، أو النواة Famille nucleaire " (القصير، 1999، ص ص 43_45).

4. الأسرة في الدين الإسلامي:

"اهتم الإسلام ببناء الأسرة(أسلوب تكوينها والنظم المؤدية إليها كالخطبة والزواج والعلاقات الأسرية وبيان حقوق الأبناء وحقوق كل من الزوج والزوجة وأساليب مواجهة المشكلات والخلافات الأسرية إن وجدت وأسلوب إنهاء العلاقة الزواجية إن استحالت الحياة الأسرية المتكاملة وبيان أساليب توزيع الميراث...) فأول ماصنعه الإسلام أن بين عدم صحة موقف الرجل من كرهه لولادة الأنثى وفرحه بولادة الذكر وبهذا جاء نص الآيتين الكريمتين من سورة النحل:((واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم (58) يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسهُ في التُراب ألا سَاء ما يحكُمون (59))). وفي الآية الأولى من سورة النساء يقول الله مساويا بين الرجل والمرأة: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقو الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (1)))،ويعد الزواج في نظر الإسلام عقدا، ولكنه عقد أطلق عليه الميثاق لأهميته ومايترتب عليه من علاقات هي أساس تكوين اسرة وإنجاب ابناء وتربيتهم...ويتم الزواج بتوافر الإيجاب والقبول مع توافر الشهود، ولايشترط في عقد الزواج أن يتم على يد أحد رجال الدين كما لايشترط أن يتم بمكان معين "" كما هو الحال في المسيحية التي تستوجب إتمام عقد الزواج في الكنيسة على يد القسيس""

وإذا كان الإسلام يرى البعض أنه قد رفع شأن الرجل درجة في قوله عز وجل في سورة البقرة الآية 228: ((...ولهن مثل الذي عَليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم(228))).ولقد فسرت الدرجة بالجانب الاقتصادي المادي البحث وفي مجال أخر خص المرأة بتفضيل قد يزيد عن حق القوامة الاقتصادية ويبدو هذا في الآيةالقرآنية الكريمة 14 من سورة لقمان: ((ووصينا الإنسان بوالديه حملتهُ أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديكَ اليَ المصير(14))). وقد أعطى الإسلام للمرأة حرية اختيار الزوج أما موقفه من العلاقة الجنسية الذي هو نتيجة علاقة الذكر بالأنثى ليس سو حالة من الإرادة الإلهية المطلقة والشاملة حيث قال سبحانه وتعالى في الآية (21) من سورة الروم:

((ومن آياتهأن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون (21)))" (دراوش، 2012، ص ص. 64-65.).

5. الأسرة الجزائرية:

1.5. مفهوم الأسرة الجزائرية

" إذا أردنا إعطاء تعريف للأسرة الجزائرية، بعد أن عرفنا مفهوم مصطلح الأسرة في نقاط سابقة، نجد أننا وجدنا تعريف لما كان يطلق على الأسرة الجزائرية الا وهو مصطلح العائلة الجزائرية، وهذا مايقابل الأسرة الممتدة، نتعرض أولا لتعريف ما اصطلح عليه سابقا بالعائلة في قاموس علم الاجتماع ل Emilio Willems، حيث يعرف العائلة كالتالي:((هي المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلا او عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع امرأة أو عدد من النساء ومعهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين وكذلك الخدم))، هذا التعريف للعائلة مايقابله الأسرة الممتدة اليوم وهو تعريف اجتماعي، يحدد أعضاء الأسرة حيث يشمل الرجل أو الرجال، الزوج أو الأزواج، المرأة او النساء والأقارب (زوجة الابن وزوجة الأخ وأخرين) ثم الخدم فهم يعدون ضمن أفراد هذه الأسرة الكبيرة، فالعائلة هي إنتاج جماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه، فالعائلة تتحول حسب ظروف المجتمع الذي تنتمي اليه.

ولقد عرف الباحث **مصطفى بوتفنوشت**العائلة الجزائرية على أنها: هي عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد (الدار الكبرى) عند الحضر و الخيمة الكبرى عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا"(سلاطنية، مالكي، 2012، ص 70).

2.5. الزواج و الاختيار له في الأسرة الجزائرية:

" يعتبر الزواج من أهم القضايا التي تهتم بها الأسرة الجزائرية نظرا لما قد يكون له من تأثيرات سلبية وإيجابية على الوضع العام للأسرة، خاصة الجانب الاجتماعي كله، إذ نجد الكبار هم الذين يقومون ويتدخلون في الزواج لأنه يعتبر قضية جماعية عائلية، إذ لايحق مثلا لأي فرد من الأفراد الذي يريد الزواج أن يتكفل بهذا الموضوع بمفرده دون علم أو استشارة أهلهم"(لبرش، 2002، صص 53-54).

" أن تفضيل الزواج بابنة العم في المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة، يرجع الى انتشار ما يسمى بالزواج الداخلي في المجتمعات البدائية والقديمة، فالزواج من أبنة العم هو نوع من انواع الزواج الداخلي له أسبابه المختلفة، التي منها الانتماء الى ثقافة واحدة و الانتماء إلى ديانة واحدة أو الطوطمية أو غيرها . زيادة على الاحتفاظ بعناصر القوة المختلفة داخل الجماعة القرابية الواحدة.

وفي الجزائر يركز على ابنة العم أيضا لتبقى العلاقات الاجتماعية داخل العصبية الواحدة، انطلاقا من مبدأ رفض دخول الغرباء إلى الجماعة القرابيةفيطلعوا على أسرارهم وعيوبهم. والزواج من ابنة العم يعني التغطية على بعضهم البعض والحماية وتوفير شتى أنواع الضمانات. والزواج داخل القرابة يرجع في أصله أيضا إلى مفهوم القريب من علاقاتنا الاجتماعية- وحتى في المجتمعات البدائية- فالقريب هو الصديق ذو الأمانة والحماية والتضامن والنصرة، أما الغريب فيعني العدو الذي يحمل دائما الشر والتهديد لأعضاء القرابة الواحدة " (دراوش، 2012، ص ص 190-191).

ومن هذا نستنتج أن الزواج في الأسرة الجزائرية خاصة التقليدية يكون داخليا، أي أن الإختيار الزواجي يتم من الأقارب، وباختيار الأهل للزوج أو الزوجة المناسبين .

3.5. التغيرات الاجتماعية في الاسرة الجزائرية

" بعد التغيرات الاجتماعيةوالاقتصادية التي حدثت في المجتمع بصفة عامة، ظهرت مفاهيم أخرى جديدة أصبحت هي التي تسيطر على طريقة وعملية الاختيار للزواج، وغالبا ما تكون هذه المفاهيم أتية من المجتمعات الغربية التي تعطي الفرصة الكافية للفتى والفتاة للتعارف ودراسة كل منهما للأخر قبل الزواج وقد كان لهذا النوع من الاختيار عوامل مساعدة أولهما: تفهم الأسرة المرجعية وضعية أبنائهم ذكورا وإناثا إذ لا

تشدد عليهم الرقابة الصارمة، إلى جانب التطور الذي حدث في مركز المرأة بعد رفع القيود الصارمة على سلوكها وإتاحة الفرصة لها للاختلاط بالرجال في مجالات مختلفة، وإتاحة الفرصة لها للتعليم تعليما عاليا مختلطا، مما سمح لها بالاشتراك في الحياة الجامعية، ومنها فرصة العمل بالوظائف المختلفة، و من نتيجة ذلك زيادة فرصة الالتقاء مع الشركاء الأكثر ملائمة لها" (لبرش، 2002، ص ص 55-56).

" فالشريكين أصبحا هما اللدين يختاران أنفسهما بحيث أصبح أهم معيار للاختيار هو الميل العاطفي للطرف الأخر(الحب الرمنسي)، كما أصبح الأفراد يجدون فضاءات بديلة للتعارف عن الوسط العائلي كالانتقاء الزواجي عن طريق مواقع الأنترنيت فهناك مواقع عديدة للتعارف قصد الزواج حيث يتم تواصل الطرفين عن طريق ذلك الموقع" (باشيخ، 2014، ص ص 134-135).

والأسرة الجزائرية طبعا وككل الأسر مرت بتغيرات مختلفة مست شكلها، بنائها، ووظائفها، وفيما يلي بعض أهم التغيرات التي طرأت على العائلة الجزائرية حاليا في نظر بلقي فطوم:

_ أصبحت العلاقات مبنية على أساس الاختيار الحر، لا على الأسس التقليدية كالقرابة والتواصل العائلي، كالاختيار الزواجي الذي كان يخضع لقواعد تقليدية فاصبح يخضع لأمور أخرى كالتفاهم والحب المتبادل، رغم أن هذا النوع الأخيرلم ينتشر في أواسط المجتمع الجزائري بشكل كبير.

_ أصبح التفاعل مبني على أساس المصلحة المشتركة لا على أساس درجة القرابة.

_ الاتجاه نحو الأسرة الزواجية على حساب الأسرة الممتدة .

_ خروج المرأة للعمل نتيجة لمتطلبات الحياة الكثيرة .

_ لم تبقى مسؤوليات الزوجين على حالها، بل هناك تساند وتعاون بينهما .

_ لم تعد التربية حكرا على الأسرة، بل أصبحت تستعين بمؤسسات مجتمعية أخرى كالمدارس.

_ تخلت الأسرة على الوظيفة الإنتاجية لمتطلباتها من مأكل وملبس، وأصبحت أسرة مستهلكة .

_ كانت الأسرة تقوم بتوجيه وإرشاد أبنائها دينيا بالتعاون مع دور العبادة أما حاليا لم يبقى لها دورا جوهريا في مهمة التثقيف الديني.

_ تأخر سن الزواج .

_ تنظيم– وفي بعض الأحيان تحديد – النسل في الأسرة، حيث أصبحت الأسر تتبع هذا النهج وقد تكون لها مبرراتها الخاصة.

_ تراجع فكرة تعدد الزوجات .

_ الابتعاد عن زواج الأقارب.(بلقي، 2013، ص 167-170)

6. النظام الأسري التقليدي عند الطوارق:

1.6. لمحة تاريخية عن مجتمع الطوارق :

الطوارق تسمية لها عدة تفسيرات، " فهي محل اختلاف المؤرخين: فمن قائل إنهم سموا به لأنهم طرقو الصحراء وتوغلوا فيها، ومن قائل أنه نسبة إلى انتساب بعضهم إلى طارق بن زياد، وقول أخر إنه نسبة إلى الوادي الذي تسكن فيه قبائل الملثمين القريبة من العواصم المغربية في الشمال، وهو وادي درعة جنوبي مراكش، الذي يسمى بالطارقية تاركا، وجمعها: توارك. فأُخذت هذه الكلمة من الكتابات الأوربية التي نقلتها من المراجع العربية، لتمثل شكلها الحالي ((طوارق)) بإبدال التاء طاء. ويرجع بعض المتأخرين أنهم سموا الطوارق أدلاء الصحراء والمتخصصين في طرقها ومسالكها، وكان تجار القوافل يستعينون بهم فسموهم الطوارق، فالواحد طرقي، والجمع طوارق".(الأنصاري ، 2006، ص ص. 29-30)

" ينتشر التوارق في الصحراء الكبرى مابين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا الى حدود السودان مرورا بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غربي لبيا وجنوب شرقي الجزائر.

كما تنتشر مجموعات منهم ببوركينا فاسو ونيجيريا ونستطيع ان نقول ان وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس ودرج في ليبيا وأوباري وغات. إلى تمنغست بالجزائر وجانت وتيمياوين وبرج المختار على الحدود مع مالي. إلى تينبكتو بمالي والى طاوة بالنيجر، وانقيقمي على بحيرة التشاد، وابشة في شرق التشاد، تتناثر قبائل التوارق في هذه الصحراء وتتفاوت بين الكثرة والقلة حسب تواجدها يجمعها الزي شبه الموحد : القميص الفضفاض والسروال الواسع والحذاء العريض المصنوع من جلد البعير والعمامة الكبيرة ذات اللثام الضيق حتى أصبح هذا اللثام علما على التوارق فاسماهم العرب (الملثمون)".(القشاط ، 2008، ص 19).

لم يصل المؤرخون الى تحديد أصل الطوارق وتاريخهم وكل ما تم من دراسات ماهو الا فرضيات ومعلومات غير مؤكدة، لكن " يكاد الإجماع ينعقد في نسبة الطوارق في الصحراء الكبرى إلى البربر على وجه العموم، والى قبيلة صنهاجة وفروعها، لمتونة وجدالة ومسوفة، على وجه الخصوص. ولكن الذي لايسلم الخلاف منه، هو نسبة البربر أنفسهم، الذي أختلف المؤرخون في نسبتهم أشد اختلاف، إلى مذهبين على الأكثر: فمن قائل بعروبتهم ونسبهم إلى الكنعانيين والحميريين، وغيرهم من الأصول العربية القديمة، ومن قائل إنهم من القوقازيين وأجناس البحر الأبيض المتوسط، والفينيقيين والقرطاجيين وغيرهم. ولكن الذي عليه الإجماع في هذا الخلاف، أن البربر يمثلون واحدة من اعرق السلالات السامية وأقدمها في التاريخ ".(الأنصاري، 2006، ص 32).

" أما البربر أنفسهم فينسبون أنفسهم إلى مازيغ بن تملا بن كنعان، وبه سمو الأمازيغ في رأيهم، وعلى الرغم من أن بعض مؤرخي الإسلام يرودونهم الى **بر بن قيس** أحد ملوك اليمن، فإن قلة من يؤمنون بهذا الاتجاه. ويسخر البربر من تسميتهم بربرا، نسبة إلى بر هذا، خاصة أن كلمة بربر باللغة الأمازيغية، أو الطارقية تحديدا، أصلها من ((أبربر))، أي: الخروج. وبربر فعل أمر بمعنى اخرج، وهذا ما جعل البعض يعتبرهم ممن تسموا ببعض لغتهم. وعلى الرغم من النزاع الموجود في انساب البربر وأحفادهم الطوارق، إلا أن أفضل الأبحاث هي تلك التي ردَّت أصولهم إلى العرب، ليس تعصبا للجنس العربي، ولكن كل الدلالات العلمية تشير إلى ذلك".(الأنصاري، 2006، ص ص 37-38)

" أما الطوارق أنفسهم فلا يخالجهم ريب في نسبهم إلى الصنهاجيين، ولكن في خبايا الذاكرة الطارقية أنسابا أخرى ضاربة في القدم، هي إلى الخيال عند البعض أقرب منها إلى الواقع، إذ يعتقد بعضهم أنهم أحفاد الملكة تين هينان، ومعناها المجرد ((المتنقلة))، ولا يعرف سبب التسمية على وجه التحديد".(الأنصاري، 2006، ص 34)

حيث يرجع الطوارق في أقاليم الهقار، خاصة القبائل النبيلة الحاكمة (كيل غلا و وكيل تايتوق) نسبهم إلى هذه الشخصية الأنثوية التي جاءت من تفيلالت، كما يرتكز عليها النظام التاسيسي للحكم في منطقة الأهقار.

2.6. البناء الاجتماعي التقليدي للطوارق:

المجتمع الطارقي موزع على العديد من المناطق.

ويقول القشاط: أن التوارق سمو مناطقهم بسلطنات يرأسها سلطان يختارونه لذلك من بينهم. وتنقسم منطقة الطوارق الى سبع سلطنات مقسمة على النحو التالي:

1_ سلطنة أزقر.
2_ سلطنة الهقار.
3_ سلطنة والليمدن كل أطرام.
4_ سلطنة تقريقريتوالليمدن أهل الشرق.
5_ سلطنة ايير.
6_ سلطنة تمزقدا.
7_ سلطنة كل أقرس.(القشاط ، 2008، ص ص 47-56).

ونعرض فيما يلي كمثال التركيبة الاجتماعية لسلطنة الهقار(مدينة تامنغست حاليا)، و" تشترك الهقار في حدودها الشرقية مع سلطنة أزقر وتتأخذ من مدينة (تامنغست) في الجنوب الشرقي الجزائري مركزا لها وتنتقل بين جبال الهقار على الحدود مع مالي والنيجر الحالية. وتتكون سلطنة الهقار من عدة قبائل أهمها:

(أ) كيل غلا.
(ب) تيطوق.
(ج) كيل غزي.
(د) تاغت ملّت".(القشاط ، 2008، ص ص 48-49.).

وتشكل هذه القبائل وأخرى تركيبا اجتماعيا طبقيا على شكل هرم تتربع على قمته القبيلة الحاكمة وهي في الهقار قبيلتي (كيل غلا و وكيل تايتوق)، ثم تأتي بعد ذلك القبائل الأقل درجة تباعا إلى أسفل الهرم.

حيث " يتميز مجتمع الصحراء الكبرى عموما، والتوارق خصوصا بوجود فوارق طبقية متباينة ومتمايزة لدرجة أن **التزاوج لايتم في أغلب الأحيان بين طبقة وطبقة أخرى إلا ماندر**. وأن حرفا معينة لايقوم بها غير المصنفين في طبقة معينة وتعتبر مشينة لطبقة أخرى إذا ما قامت بها.

وأهم طبقات المجتمع التارقي الطبقات الأتية:

أ) _ طبقة النبلاء(إماجغن_ إماشاغ_ إموهاغ)
ب) _ طبقة إمغاد:
ج) _ طبقة الفقهاء (انسلمن):
د) _ الحدادون: " (إنيضن _ إيكنوان _ إيكدمان).
هـ) _ العبيد والموالي: " (إيكلان_ إيدرفان_ ابروكن). " (القشاط ، 2008، ص ص 77_84)

3.6. الأسرة عند الطوارق:

" تعد الأسرة هي الخلية الصغرى في مجتمع التوارق وفي المجتمعات القبلية بصفة عامة. وتسمى الأسرة عند التوارق(إيهن) أي الخيمة وكذلك العرب أيضا يسمون الأسرة (البيت) وهو الخيمة. وتتكون الأسرة من الأب والأم والأولاد وعدد من الخدم حسب مكانة رب الأسرة. وتأتي بعد الأسرة العائلة أو العشيرة وتسمى عند التوارق (كيل إيهن) وتتكون من عدد من الأسر تربطهم قرابة الدم وعادة ما ينحدرون من جد واحد للعائلة ويكون ذلك الجد غير بعيد. ويعيش مع هذه العائلة أو العشيرة مجموعات من العبيد والموالي التابعين لها ".(القشاط، *2008*، ص73)

ونلاحظ أن الأسرة الطارقية لم تخرج عن التوجه العام للأسر العربية والجزائرية خاصة حيث تعتبر أسرة ممتدة.

" كما يلاحظ ظاهرة أخرى لها تأثيرها على تركيب وبناء الأسرة، وهي التحكم في عدد المواليد المرغوب فيهم للموازنة بين حجم السكان في الهقار والإمكانيات الاقتصادية التي تكفل لهم الحياة. وهي سياسة نجحت إلى حد كبير، وتمكنوا بواسطتها من إيجاد العدد ((الأمثل)) من السكان الذي يمكن تغذيته في كل الظروف ، يضاف إلى ذلك أن الطارقي لا يعدد_ في الغالب_ زوجاته، إذ يكتفي بزوجة واحدة ".(السويدي، ص 177).

4.6. مكانة المرأة عند الطوارق:

" الحرية التي تتمتع بها المرأة عند إموهغ أدت بكثير من الدارسين لهذا المجتمع بتصنيفه من المجتمعات الأمومية، أي أن القرابة من جهة الأم وكذلك النسب والجاه، ومن ثم يعتبر الأبناء في جماعة أمهم، حيث يقول Gast (يتميز السلم الاجتماعي عند إموهغ بنفوذ المرأة لأنه مجتمع امومي). بينما يقول زناتي(التوارق الذين يسكنون الصحراء الكبرى كانوا يتبعون القرابة الأمية ومازالوا يفعلون، وان فقدت هذه القرابة قدرا من أهميتها بسب اعتناقهم الإسلام) وذلك كونه أخذ ما كتابه ابن بطوطة الذي قال عن إموهغ(...وشأن هؤلاء القوم عجيب فإما رجالهم فلا غيرة لديهم، ولا ينسب أحدهم الى أبيه بل ينسب لخاله، ولا يرث الرجل الا ابنا أخته...) . والذي عقب على كلامه محمد السويدي، حيث اعتبر ابن بطوطة قد بالغ استغرابه من عادات اموهغ حيث ادخل في وصفه نوعا من الذاتية لكونه لم يتلقى الترحيب، ولم يتمكن من الزواج من إموهغ.

أن واقع اموهغ لا يخفي انتقال النسب عن طريق الخط الأمومي ، حيث أننا انطلاقا من المقولة الشهيرة والشائعة في اموهغ تعبر عن ذلك(ان النسب يتبع البطن وليس الظهر)أن الابن يتبع أمه لا أبيه، كما ان الحكم يتوارث على الخط الأمومي، حيث أن القاعدة تقوم على إن خليفة أمنوكال، هو ابن اخته الكبرى وابن خالته وابن اخوته الصغيرات وليس أبنائه، لكن تناول هذه القضية من جانب واحد أي بعزلها عن باقي المجتمع عائد الى المبالغة في التفسيرات المؤدية الى تفسيرات خيالية أسطورية لاعلاقة لها بالظاهرة الاجتماعية.

أما من الناحية الاجتماعية فإن معظم الباحثين لم يفهمو الطابع الاجتماعي الأمومي الخاص لاموهغ، وهذه ميزة عامة لمعظم البحوث الأنثروبولوجيا، والتي لم تتمكن من الفهم الجيد لمكانة المرأة ودورها الاجتماعي في المجتمعات التقليدية والعيب في معظم الأبحاث التي تناولت المرأة عند إموهغ هو معالجتهم لها وكأنها موضوع مستقل عن المجتمع، وأهملوا بذلك إطارها الاجتماعي الذي تكون المرأة جزءا من بيئته، فالتنظيم الاجتماعيماهو الا خطة وضعها المجتمع من أجل أهداف معينة إن من المنظور الاجتماعي لمكانة المرأة في المجتمع التقليدي لاموهغ يتبين أنها سيدة بيتها، فلا علاقة لها بالشؤون الخارجية(السياسية)، أي ان دورها يقتصر على البيت وجميع شؤونه فان كانت هي الناقلة للنسب والجاه داخل المجتمع، فذلك يعتبر من بين الأدوار الضمنية التي يسير بها المجتمع.

حيث أننا نجد بعض الألفاظ التي يتناولها اموهاغ مثل(ولت ماك)، والتي تعني اختك والتي تحمل في معناها (أبناء أمك)، وكذلك لفظة(أيت ماك) التي تعني اخوتك وتحمل معنى (أبناء أمك)، هذه العبارات واخرى تدل على ان النسب امومي يربط الفرد بأفراد قرابته عن طريق الأم، لكن الى جانب ذلك نجد ألفاظا أخرى مثل(أق أخموك) والتي تعني ابن أخموك، وكذلك عبارة(ولت أخي) وتعني بنت اوخي، هذه العبارات تدل على ان النسب أبوي اي أن الشخص يعرف بأبيه وهذا ما يطرحنا أمام تساؤلات هامة، وهي: _ متى يكون الانتساب في الخط الأمومي؟_ ومتى يكون الانتساب في الخط الابوي؟.

إن ما نستشفه مما عرضناه فيما سبق أن الابن عند اموهغ ينتسب الى أمه في الروابط القرابية بينما ينتسب لأبيه في تعريفه الشخصي.

إذن فـإن المـرأة في داخـل التنظـيم الاجتمـاعي، تلعـب دورا مهمـا ورئيسـيا في ذلـك النظـام، ونظـرا لكونهـا الناقـل للإرثالاجتمـاعي، والحـافظ لـلإرث المـادي والمالكـة لحـق الانتسـاب، وناقلـة للجـاه لأبنائهـا إضافة إلى مالها من مكانة وحرية في وسط مجتمعها".(زندري، 2013، ص ص 271-273.)

5.6. أولاد الطوارق و تنشئتهم:

" يولد الطفل الطارقي ويدخل الحياة تحت الخيمة وعلى رمال نظيفة، هي مهده الأول الذي يتلقاه في الحياة. وعندما يبلغ المولود يومه السابع يقام له حفل بمناسبة تسميته، ويتحدد أسمه بإجراء قرعة على الأسماء المطروحة، ثم يتم سحب أحدها بطرق مختلفة، والملاحظ أن الأسماء التقليدية عند بدو الطوارق قبل الإسلام متنوعة وغريبة، فتكون أحيانا حسب الجو الطبيعي السائد أثناء الولادة، أو تتم التسمية بأسماء حيونات معروفة برشقتها وشجاعتها كالغزال والسبع ...الخ .

ويتعلم المولود من والدته القصص الشعبية واللهجة الطارقية والموسيقى، لان المرأة عند الطوارق هي الحافظة للتراث الشعبي، بالإضافة إلى أنها الأديبة والمغنية والشاعرة .

وحين يبلغ الأبن السادسة من عمره يبدأ في ارتداء الملابس حيث تقام له حفلة خاصة بمناسبة انتقاله من مرحلة الحياة داخل المخيم مع والدته إلى حياة أكثر شمولية، فيبدأ الولد في مرافقة والده في رحلاته الطويلة نحو السودان وموريتانيا والنيجر ومالي وليبيا، فيبدا في التعرف على مسالك الطرق في متهات الصحراء الكبرى، أما البنت فتلازم والدتها لكي تتعلم الحياكة وغيرها، كما تتدرب لكي تبح في المستقبل ((الحارسة المفترسة)) داخل خيمتها، وهذا يعود الى أن الرجال _هم في الغالب_ في حالة تنقل بعيدا عن المخيمات.

وعندما يبلغ السادسة عشر من العمر يبدأ في ارتداء اللثام بصفة دائمة، وتقام له بهذه المناسبة حفلة يتلقى فيها هدايا من بينها خنجر ولثام ازرق، حيث يعتبر ارتداء اللثام مرحلة انتقال من عالم الطفولة إلى عالم الرجال.

والملاحظ عند الطوارق أن الفتى نادرا ما يتزوج قبل بلوغه سن الثلاثين والفتاة قبل بلوغها السادسة والعشرين، ويمتثل الطوارق لتعاليم الدين الإسلامي عكس مايدعيه البعض، سواء في الزواج أو الطلاق أو في معاملاتهم اليومية ".(السويدي، ص ص 175-177).

6.6. الزواج والاختيار له عند الطوارق:

" عندما يعجب الشاب بالشابة _ شريطة أن يكونا من طبقة واحدة إذ نادرا ما يتم الزواج من طبقة كطبقة النبلاء مثلا، وطبقة الإيمغاد، أو العبيد _ يرحل الشاب مع مجموعة من أصدقائه وأقربائه الرجال وينزلون بالقرب من خيمة والد العروس ويرسل الشاب شخصيين أو ثلاثة إلى والد العروس ووالدتها يخطبون له ابنتهما. وعندما تتم موافقة والد العروس على تزويج ابنته وكذلك والدتها يعينان المهر المطلوب. فترجع الجماعة للخيمة التي يقيم بها العريس وأصحابه ويعرضون عليه المهر. وإذا ماوافق يكلف أحد الأشخاص ويكون ابن عمه أو أخاه أو ابن خاله ويفوضه بشهادة الجميع أنه وكيله لدى عقد الزواج من مخطوبته. حيث يذهب ذلك الوكيل إلى الخيام _ خيام أهل العروس _ فيقدم المهر إذا كان موجودا. والمهر لدى قبائل النبلاء سبع نياق. أما لدى الموالي والعبيد فيكون أثنين من المعز. كما يختلف ذلك بين السلطنات فبعضها أكثر وبعضها أقل".(القشاط، 2008، ص 108).

ومن عادات الطوارق أيضا أن مراسيم الزواج تتم عند أهل المرأة وتمكث عندهم مدة سنة أو أكثر إلى أن تنجب أبنها البكر وبعد انقضاء هذه المدة تزف المرأة إلى بيت زوجها في حفل خاص.

و" مجتمع التوارق قليل الطلاق، وهم لا يلجئون إلى الطلاق إلا نادرا كما أنهم لا يجمعون أكثر من زوجة واحدة في عصمتهم في الوقت الواحد في الغالب. والمرأة في مجتمع التوارق تحظى باحترام زايد وهي كما ذكرنا سافرة إلا في طبقات (إنسلمن) الجمعات المتدينة فهي هنا لاتقابل الرجال ولا تجالسهم".(القشاط، 2008، ص122).

و الاختيار للزواج عند الطوارق كان يتم داخليا من نفس الطبقة العرقية وبالتالي من نفس العائلة الممتدة، داخل القبيلة وهذا حفاظا على نقاوة الأصل وتميزه خاصة عند طبقة النبلاء، أما أسلوب الاختيار فيفترض ان الشباب الطارقي المقبل على الزواج كان يختار بنفسه، حيث يقول القشاط محمد سعيد أن مجتمع الطوارق من المجتمعات المتفتحة في الإسلام، فالشباب والشابات يلتقون في الأفراح وغيرها دون أن تغطي المرأة وجهها بل على العكس فالرجل الطارقي في هذه اللقاءات هو الذي يغطي وجهه، ويلتقي الطوارق شبابا وشابات خارج الخيمة في عراء الصحراء امام نار مشتعلة يستمعون للغناء والعزف على ألة الإمزاد، ولا يتحرجون من الجلوس كل شاب إلى جانب عشيقته يحادثها ويسمر معها في عفة دون شي يجرح الطهر ويسمون ذلك (تهالة)، وعندما يعجب الشاب بالفتاة يرسل لخطبتها من أهلها شريطة أن تكون من نفس طبقته (القشاط، 2008، ص ص. 105-108). ويرى البعض أنه نظرا للمكانة التي تحضي بها المرأة عند الطوارق، كانت تختار بنفسها من تريد ان تتزوجه كما أنها لا تُرغم على زوج لا ترغب به، بل أن موافقتها على الزوج ضرورية قبل أية موافقة أخرى فهي صاحبة القرار في اختيار شريك حياتهاشرط أن يكون من مستواها الطبقي،ويبقى هذا الامر مختلف فيه خاصة لتنوع وتعدد قبائل الطوارق واختلاف عاداتهم باختلاف السلطنات التي ينتمون اليها.

عند الطوارق" اختيار شريك الحياة يتم في حفلات الأهالي، كما يحدث في المناسبات الجماعية أو العائلية، حيث أن التعرف على شريك الحياة يتم عندما يحضر الشباب الحفلات مثل تيندي أو إيسوات أو تزنغرت هذا في المجتمع التقليدي، لكن ستجد في هذا ان قضية الاختيار تتم بمراقبة الفتاة في حياتها اليومية حيت أن الزواج غالبا ما يكون بين الأقارب لذا نجد الشباب يترصدون بنات أعمامهم أو أخوالهم في بيوت أهلهم، حيث يعجب الشاب بتصرفاتها واهتمامها بعمل البيت".(زندري، 2013، ص 275)

7.6. التغيرات الاجتماعية والاسرة الطارقية بالهقار

بعد الاستقلال " وجدت منطقة الهقار نفسها في وضع متخلف على جميع المستويات وذلك من حيث التنظيم الإداري والمصالح العمومية والإطارات والأجهزة المالية والتجهيزات الأساسية، ولهذا كان أول شيء قامت به البلدية الجديدة هو إحداث مصلحة الحالة المدنية التي بواسطتها تمكن المواطنون بمنطقة تمنراست من استخراج البطاقات الشخصية (بطاقة التعريف) حيث كانوا قبل الاستقلال لايحملون اي هوية تثبت انتماءهم للوطن الجزائري.كما قامت البلدية بأحداث ملحقات لها سنة 1967، في عدد من المراكز الحضرية الصغيرة في الهقار، منها ماكان يبعد عن تمنراست بأكثر من (700 كلم) مثل مركز(تيمياوين) جنوب غربي تمنراست".(السويدي، ص 178.)

" ومنذ سنة 1962 لم تعد قبائل الصحراء تدفع ((التيوسي أو الجزية)) للأمينوكل، الذي أصبح يتمتع بمرتب شهري مقابل وظيفة كنائب في الجمعية الوطنية(بعد الاستقلال) أو في المجلس الشعبي الوطني في السنوات الأخيرة، كما رفض المزارعون (الخماسون) دفع نصف الإنتاج أو أربعة أخماسه، لأصحاب الأرض التقليديين، إذ بعد إعلان استقلال الجزائر أعلنت السلطات المحلية بتامنراست مبدأ((الأرض لمن يخدمها))

ولهذا، وتحت هذا الشعار، رفض المزارعون العمل بنظام (الخماسة) واستولى البعض منهم على المزارع التي بحوزتهم، كما قام أخرون باستصلاح أراض جديدة على ضفاف الأودية عن طريق حفر ابار جديدة . وهكذا تخلص الخماسون من نظام اقتصادي تقليدي استمر أكثر من خمس وخمسين سنة، مطبقا في منطقة الهقار. وقد انتقل بعض المزارعين والخدم الى واحة تمنراست هم وأسرهم، التحق كثيرون منهم بأعمال البناء والنقل وغيرها، وأحدثواأحياء سكنية في تمنراست، تكاملوا بواسطتها مع الطبقة العاملة، وقد غلب على هذه الأحياء النمط القصديري القائم على أكواخ القصدير والزرائب التي تفتقر الى المرافق الصحية الأساسية، كالمياه والمجاري والإنارة وغيرها، وتعكس في نفس الوقت مدى انخفاض مستوى معيشة أصحابها، كما ساعدت على انتشار هذا النوع من الأحياء أزمة الجفاف التي شهدتها المنطقة في السنوات الأخيرة ، وكان من نتائجها نزوح عدد كبير من الطوارق الى المراكز الحضرية بمنطقة الهقار والى واحة تامنراست بالذات، طلبا لمعونة السلطات المحلية(حوالي 4000 نسمة سنة 1974)".(السويدي، ص 186).

وتشهد تمنراست منذ منحها أسم ولاية سنة 1974، تشهد تغيرات تنموية كبيرة في مختلف القطاعات، ولاسيما بعد الاكتشافاتالطقوية والمعدنية بها، حيث شهدت قيام عدة مشاريع ضمن برامج الدولة لفائدة الولاية بغرض ترقية الظروف المعيشية لسكان هذه المنطقة، كما شهدت مدينة تمنراست ولازالت حركة هجرة من مختلف الولايات الجزائرية و كذا البلدان الافريقية.

كل هذا وغيره أدى لتمدن المجتمع الطارقي بمدينة تمنراست واستقراره، و دخول أفراده بمختلف طبقاتهم في وظائف الدولة، وبالرغم من كل هذه التغيرات والتطورات في مجالات الحياة، إلا أنه و من خلال المعايشة اليومية للسكان في مدينة تمنراست تكتشف أن بقايا الأفكار الطبقية ما تزال تصارع الوجود وتصر على إبقاء كل عرق ضمن نطاقه لا يتجاوزه، خاصة في مجال الزواج، فالاختيار الزواجي عند الطوارق المنتمين للقبائل النبيلة يتم بشكل تقليدي ويبقى هو النموذج المفضللدى الطوارق المنتمين للقبائل النبيلة حفاظا منهم على نقاوة عرقهم وتميزه وحفظه وحفظ عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم من الزوال، لكن تبقى تعاليم الدين هي الموجه للاختيار داخل هذا النموذج الداخلي المفضل .

7.خاتمة :

في الختام نشير إلى أن التغيرات الاجتماعية أمر حتمي تتعرض له كل النظم المكونة للمجتمع خاصة النظم التقليدية، والأسرة من أهم وأكثر النظم الاجتماعية المعرضة للتأثر بالتغيرات باعتبارها اللبنة الأولى في بناء المجتمع وتأسيسه، فهي تحمي الإنسان وتهئيه للتعايش والتفاعل مع المجتمع من خلال تزويده بمبادئ وقوانين يسير وفقها وتوجه سلوكياته وبالتالي سلوك الأسرة ككل، والتغير الذي يمس الأسرة يمس بالدرجة الاولى الزواج باعتباره أساس تكوين الأسرة وبنائها وهو أسمى النظم الاجتماعية التي يتحقق من خلالها الاستقرار النفسي والاجتماعي والبيولوجي، وبالتالي لابد من تخصيص دراسات ميدانية للوقوف على التغيرات التي تمس الأسرة خاصة في المجتمعات التقليدية مثل المجتمع الطارقي بالجنوب الجزائري .

8. قائمة المراجع

الكتب والمؤلفات:

1_ الأنصاري، عمر.(2006). الرجال الزرق.الطبعة 2. دار الساقي. بيروت.

2_ الخولي، سناء. الأسرة والحياة العائلية. دار النهضة العربية. بيروت.

3_ السويدي، محمد.مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري. ديوان المطبوعات. الجزائرية الجزائر.

4_ القشاط، محمد سعيد.(2008). عرب الصحراء الكبرى.الطبعة 5. الدار العربية للموسعات، بيروت.

5_ القصير، عبد القادر.(1999). الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.

6_ درواش، رابح. (2012). علم إجتماع العائلة. دار الكتاب الحديث. القاهرة.

7_ سبعون، سعيد. جرادي، حفصة.(2012). الدليل المنهجي في أعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع. دار القصبة للنشر. الجزائر.

8_ سيد أحمد، عبد الحكيم خليل.(2014). عادات وتقاليد الزواج. مصر العربية للنشر والتوزيع. مصر.

المجلات والدوريات:

1_ بلقي، فطوم.(ديسمبر2013) ((النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي)). مجلة العلوم الإنسانية قسنطينة: عدد 40.

2_ باشيخ، أسماء. (اكتوبر2014) ((مؤثرات التغير الاجتماعي والواقع الزواجي بالجزائر)). مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية: العدد03.

3_ سلاطنية، بالقاسم. مالكي، حنان.(مارس 2012). ((أساليب التربية المتغيرة في الأسرة الجزائرية)). مجلة علوم الإنسان والمجتمع بسكرة: العدد 01.

الرسائل الجامعية:

1_ تمرسيت، فتيحة.(2006) "واقع الأسرة الممتدة في المدينة خصائصها ووظائفها ومشكلاتها"، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر.

2_ زندري، عبد النبي.(2013). "الخلفية الاجتماعية وبناء الموروث الثقافي اللامادي"، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة الجزائر2، .،

3_ لبرش، راضية.(2002). " نظام الزواج في الريف الجزائري"، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة العقيد لخضر باتنة.